المجلد:04العـــدد: 01 (ديسمبر 2025)ص 1-8

اللسانيات العامّة والتاريخ: تداخل الحقول المعرفية وإشكالات المنهج

General linguistics and history: overlapping fields of knowledge and problems of method

فرح قنيش الشلف–الجزائرfarahkenn28@gmail.com

نور الهدى قنيش الشلف الجزائر houdakenniche91@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/12/25 تاريخ القبول: 2025/12/29 تاريخ النشر: 2025/12/31

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى دراسة العلاقة التفاعلية بين اللسانيات العامة والتاريخ، من خلال إبراز الدور الذي تلعبه اللغة بوصفها نظامًا اجتماعياً وتاريخياً في فهم التحولات الحضارية، وإعادة بناء الماضي الثقافي والاجتماعي للأمم. ويناقش البحث الأسس النظرية للسانيات العامة، وصلتها بالمنهج التاريخي، مع التركيز على اللسانيات التاريخية، والسوسيولسانيات، وتحليل الخطاب التاريخي، مستندًا إلى أمثلة وشواهد من التراث اللغوي العربي والدراسات اللسانية الحديثة.

الكلمات المفتاحية :اللسانيات العامة، التاريخ، اللسانيات التاريخية، الخطاب، اللغة والمجتمع.

Abstract:

This research aims to study the interactive relationship between general linguistics and history by highlighting the role of language, as a social and historical system, in understanding civilizational transformations and reconstructing the cultural and social past of nations. The research discusses the theoretical foundations of general linguistics and its connection to the historical method, focusing on historical linguistics, sociolinguistics, and the analysis of historical discourse, drawing on examples and evidence from the Arabic linguistic heritage and modern linguistic studies.

Keywords: General linguistics, history, historical linguistics, discourse, language and society.

مقدمة

أضحت اللغة في الدراسات المعاصرة مدخلاً أساسياً لفهم التاريخ، لا بوصفها مجرد أداة للتعبير، بل باعتبارها بنيةً معرفيةً تعكس أنماط التفكير، وتنقل القيم، وتؤرشف الذاكرة الجماعية. وقد أسهم تطور اللسانيات العامة منذ مطلع القرن العشرين، خاصة مع فرديناند دي سوسير، في إعادة النظر في علاقة اللغة بالزمن والتاريخ.

فالتاريخ لا يُقرأ فقط من خلال الوثائق المادية، بل كذلك من خلال النصوص والخطابات، حيث تصبح اللغة شاهداً على التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية. ومن هنا، تتأسس علاقة جدلية بين اللسانيات العامة والتاريخ، قوامها التفسير والتأويل وإعادة البناء.

أولاً: اللسانيات العامة – المفهوم والنشأة

1. تعريف اللسانيات العامة

تُعنى اللسانيات العامة بدراسة اللغة الإنسانية في ذاتها ولذاتها، من حيث بنيتها ووظائفها وقوانينها الكلية. وقد عرّفها دي سوسير بقوله : "اللغة نظام من العلامات لا تُعرف قيمته إلا من خلال العلاقات التي تربطه ببقية العلامات داخل النسق" .(Saussure, 1916/1985)

ويركز هذا التعريف على البعد البنيوي للّغة، بعيداً عن الاعتبارات التاريخية في الظاهر، غير أن هذا الإقصاء كان منهجياً لا جوهرياً.

2. بين اللسان والكلام والتاريخ

ميز دي سوسير بين مجموعة من المفاهيم اللسانية المتقابلة التي سماها بالثنائيات اللغوية :Diachotomis ، باعتبارها حجر الزاوية في نظريتها البنيوية، باعتبارها مدخلا لفهم اللّغة كنظام؛ أهمها:

- **اللسان** :(**Langue**) نظام اجتماعي ثابت نسبيًا، فهو نظام لغوي مشترك ومحفوظ في أذهان جماعة لغوية.
- **الكلام** :(**Parole**) تحقق فردي متغير، يجسد فعل الكلام، والاستعمال الفردي للسان، له صيغة الاختيار والاختلاف من شخص لآخر.

غير أن هذا التمييز لا يلغي البعد التاريخي، لأن اللسان نفسه نتاج تراكمات تاريخية، تتغير ببطء عبر الزمن.

كما ميز أيضا بين الدراسة التزامنية (Synchronic) والدراسة التعاقبية (Diachronic) باعتبارهما منهجان أساسيان لدراسة اللغة؛ الأولى تدرس اللغة كنظام ثابت

ومتكامل في فترة زمنية آنية معينة (دراسة وصفية) بهدف وصف بنية اللغة وقواعدها في تلك المرحلة، وأما الثانية فتدرس تطور اللغة عبر الزمن(دراسة تاريخية) بغرض تتبع نشوء واختفاء وتغير الظواهر اللغوية.

وهناك ثنائيات أخرى مثال دال/مدلول، علاقات الاستبدال/علاقات التركيب، ومجمل الثنائيات اللغوية عند دي سوسير مثّلت منهجا يوضح المبادئ الأساسية لنظرية سوسير اللغوية.

ثانياً: اللسانيات التاريخية ودورها في فهم الماضي

.1مفهوم اللسانيات التاريخية

تهتم اللسانيات التاريخية بدراسة تطور اللغات عبر الزمن، من حيث الأصوات، والبنى الصرفية، والدلالات. وقد أكد (أنطوان مييه) أن: "اللغة حقيقة اجتماعية تخضع، مثل غيرها من الظواهر الاجتماعية، لقوانين التطور التاريخي " .(Meillet, 1921) ؛ أي إنّ اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية شأنها شأن الأمور الاجتماعية تتأثر بالزمن وتتغير وتتطور عبر التاريخ.

.2أمثلة من العربية

من الشواهد الدالة على التغير التاريخي في العربية:

- **تطور الدلالة:**

اللفظ	المعنى الأصلي القديم	التطور والتغير الدلالي
الفتنة	الاختبار	الاضطراب السياسي
سيارة	مجموعة من الناس يسيرون	مركبة
صوم	مطلق الإمساك حتى عن الكلام	الامساك عن الأكل والشرب

شجاع	ثعبان	البطل
فشل	الجبن والضعف	الاخفاق
الحج	القصد العام	القصد إلى مكة
صحابة	رفقة مطلقة	صحابة النبي ﷺ
فاكهة	كل الثمار	أنواعا معينة
بهلول	الأمير	المجنون
حاجب	رئيس الوزراء	البواب

وهي كلها ألفاظ عرفت تطورا أو تغيرا دلاليا سواء بالتخصيص أو الانحطاط أو الارتقاء نتيجة للتحولات الاجتماعية والثقافية والحاجة إلى تعابير ومعان جديدة، وأسباب أخرى تعود إلى خلفيات نفسية واجتماعية مختلفة.

وهناك بعض الألفاظ عرفت تحولا صوتيا نتيجة خلفيات اجتماعية ونفسية واقتصادية وعلمية متنوعة، وهذه التحولات تساعد المؤرخ على تأريخ النصوص وفهم سياقاتها.

ثالثاً: اللغة بوصفها وثيقة تاريخية

1.النصوص والخطابات

أصبحت اللغة في الدراسات الحديثة تُعد وثيقة تاريخية قائمة بذاتها. فالنصوص السياسية، والفقهية، والأدبية، تعكس أنساقاً فكرية مهيمنة في لحظتها التاريخية.

2.تحليل الخطاب التاريخي

يُبرز تحليل الخطاب (Discourse Analysis) كيف تُبنى السلطة والهوية داخل النصوص. ويشير ميشال فوكو إلى أن : "الخطاب ليس مجرد انعكاس للواقع، بل أداة لإنتاجه وضبطه"
(Foucault, 1971).

ومن هنا، يصبح تحليل اللغة مدخلاً لفهم التاريخ لا بوصفه أحداثاً فقط، بل تمثلات وخطابات.

رابعاً: السوسيولسانيات والتاريخ الاجتماعي

تدرس السوسيولسانيات العلاقة بين اللغة والمجتمع، وهي بذلك أداة مركزية لفهم التاريخ الاجتماعي. فالتغير اللغوي غالباً ما يعكس:

- تحولات السلطة.
- التفاوت الطبقي.
- الصراعات الثقافية.

ومن أمثلة ذلك في السياق العربي:

- اختلاف لغة المخاطبة بين الفقهاء والعامة.
- تأثير الاستعمار في المعجم والإدارة واللغة التعليمية.

خامساً: إشكالات منهجية في الربط بين اللسانيات والتاريخ

1. إشكالية الإسقاط الزمني

يحذر الباحثون من إسقاط مفاهيم لغوية حديثة على نصوص قديمة دون مراعاة سياقها التاريخي.

2. تعدد القراءات التاريخية

النص الواحد قد ينتج قراءات تاريخية متعددة تبعاً للمنهج اللساني المعتمد (بنيوي، تداولي، تداولي–تاريخي).

خاتمة

يتبين من خلال هذا العرض أن:

– اللسانيات العامة لا تنفصل عن التاريخ، بل تشكل معه حقلاً معرفياً متداخلاً، يُسهم في تعميق فهم الإنسان لذاته ولماضيه.
– اللغة ليست وعاءً محايداً للتاريخ، بل فاعلٌ في صناعته وتمثيله.

– أي دراسة تاريخية معاصرة تغفل البعد اللساني تظل ناقصة في أدواتها التفسيرية.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية

- ابن جني، أبو الفتح. (2002 .(**الخصائص** .تحقيق: مُحَمَّد علي النجار. القاهرة: دار الهدى.
- الجابري، مُحَمَّد عابد. (1991 .(**تكوين العقل العربي** .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- تمام حسان. (1994 .(**اللغة العربية معناها ومبناها** .القاهرة: عالم الكتب.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- Saussure, F. de. (1985). *Course in General Linguistics*. Trans. R. Harris. London: Duckworth.
- Meillet, A. (1921). *Linguistique historique et linguistique générale*. Paris: Champion.
- Foucault, M. (1971). *L'ordre du discours*. Paris: Gallimard.
- Labov, W. (1972). *Sociolinguistic Patterns*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.